توطئة

أحداث وأبحاث أصبحت اليوم في أعماق التاريخ وجزءاً من مخزون ضميره الكبير، ولم تعد تطفو على السطح لتتعرّف إليها الأجيال، صارت كغلالات مطبّقة تستر ما حققه عظماء العرب من اكتشافات حضارية قدّمت للإنسانية أروع الخدمات، ثم طواها النسيان أو التناسي، وغرقت في بطون الكتب والمصنفات فأهملت، وضاعت منها أعداد كبيرة في الغزوات والحروب والمكائد والتخلّف والهمجية، كهولاكو حين صبغ مياه نهر "دجلة" بالسواد نتيجة إلقائه مخزون كتب بغداد فيه. أو حين تكاثر الجهلاء وحسّاد حكيم الأندلس "عباس بن فرناس" واتهموه بالزندقة والكفر فضاعت مصنفاته في العلوم والفنون، أو أتلفت عند احتلال الأسبان للأندلس.

وحين يقال: "إن التاريخ يعيد نفسه"، نشهد اليوم مماحكة جديدة تتمثّل في صراع الحضارات وصدامها، الأسطورة الأزلية الأبدية، هذا المفهوم الذي يعمل على محو تراث الشعوب وتاريخ الأمم وحضارة الإنسان، ليسود العالم فكر واحد يقوم على العنف والإرهاب والطغيان.

لكننا في سورية، وطن التاريخ والديانات والآثار، قدّمنا للبشرية أول أبجدية في العالم من "أوغاريت في رأس شمرا"، وأول نوطة موسيقية كنعانية مدونة، وأول مكتبة فخّارية وثائقية منظّمة من " إيبلا في تل مرديخ"، وعندنا ظهرت "حضارة المعدن" حين اكتشف النحاس على ضفاف "نهر الخابور"، وعرفنا الزراعة في شمالها فاستنبتنا أول حبّة قمح، ونحن الذين منحنا روما عدداً من الأباطرة والمهندسين ورجال القانون، وطوّرنا علم الفلك والطب والهندسة والفلسفة والرياضيات، وأقمنا أول مستشفى بدمشق في العصر الأموي، ومن أرضنا كانت الفتوحات التي نشرت حضارة الفكر العربي والإسلامي من الصين إلى المحيط الأطلسي.

فعسى أن يكون عملي هذا استمرار في سقاية شجرة الخير والعطاء للإنسانية جمعاء حتى تثمر براعمها محبة وإخاء.

قتيبة